Journal of Islamic Sciences (JIS) • Vol 6, Issue 2 (2023) • P: 168 - 154
https://journals.ajsrp.com/index.php/jis
ISSN: 2664-4347(Online) • ISSN: 2664-4339 (Print)

Moderation in the light of Islamic Sharia

Prof. Dil Aqa Waqar*[1] , Mr. Sayid Ahmad Hashimy[1]
[1] Faculty of Shariah, Nangarhar University | Afghanistan

Received:
20/12/2022
Revised:
30/12/2022
Accepted:
29/01/2023
Published:
30/06/2023

* Corresponding author:
drdilaqa.waqar@gmail.com

Citation: Waqar, D. A., & Hashimy, S. A. (2023). Moderation in the light of Islamic Sharia. *Journal of Islamic Sciences, 6(2),* 154 – 168. https://doi.org/10.26389/AJSRP.W201222

2023 © AISRP • Arab Institute of Sciences & Research Publishing (AISRP), Palestine, all rights reserved.

• **Open Access**

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license

Abstract: The main objective of this study is to demonstrate the moderative characteristics and features of Islam among the religions, as this moderation is shining in all the worships in Islam, such as praying only takes few minutes, fasting is only once in a year, Zakat is only obligatory on those who are rich, and pilgrimage is only once in the whole life upon those who can afford it. Islam does not prevent us from enjoying the pleasures of the world, such as eating, drinking, marriage, and the like of what is permitted in our daily lives. Therefore, taking legitimate adornment and benefiting from good things is required in our Shariah. We are blameless of those who distorted the image of true and moderate Islam, so it is our duty to invite people to this divine, moderate approach. Moderation is among the characteristics of this nation, so as long as this nation is a moderate nation, it must represent moderation in all that is related to their family (personal), social, political, and moral lives, otherwise we would contradict God's designation (the moderate) for this nation and religion, and this is never permissible. As for the methodology for this study is concerned, they are descriptive and analytical research methods in which they rely on authentic books and research studies and presents practical examples. The result of the study demonstrates that Islam is the true religion of having moderation in all its aspects and that Muslims are on the path of moderation towards all people. Also, the moderation in Islam is not only by sayings without practical implementation, rather it is a theory that is implemented in all aspects of the Islamic Shariah.

Keywords: Moderation, Extremism, Negligence, Moderate Nation.

الوسطية والاعتدال في الشريعة الإسلامية

الأستاذ الدكتور / دل آقا وقار*[1]، أ. سيد أحمد هاشمي[1]
[1] كلية الشريعة | جامعة ننجرهار | أفغانستان

المستخلص: يهدف هذا البحث إلى معرفة ميزات الإسلام الاعتدالية بين الأديان كما يتلألأ التوسط والاقتصاد في هذا الدين في عباداته ومعاملاته وأخلاقه فالإسلام يأمرنا بالتوسط في العبادات حسب الطاقة، هذا هو الاعتدال المطلوب فمثلا الصلوات الخمس التي لا تستغرق إلاّ الدقائق المحدودة السهلة، وكذلك الصوم لم يفرض علينا إلاّ مرة واحدة في السنة على من لم يكن مريضا ولا مسافرا، وهو شهر رمضان المبارك. وكذلك الزكاة لم تفرض إلاّ على الأغنياء منا بشروط معتدلة خاصة. وكذلك الحج في العمر مرة واحدة لمن استطاع إليه سبيلا. الإسلام لا يمنعنا من التمتع بملاذ الدنيا من الأكل والشرب والنكاح وما شاكل ذلك من المباحات في حياتنا اليومية، إذاً الأخذ بالزينة المشروعة والاستفادة من الطيبات مطلوبة في شرعنا، فنحن برآء من الذين شوهوا صورة الإسلام الحنيف المعتدل، فواجبنا أن ندعو الناس إلى هذا المنهج الرباني المعتدل. الاعتدال والوسطية من ميزات هذه الأمة، فما دامت هذه الأمة، أمة وسط فلابد أن تمثل الاعتدال والوسطية في جميع ما يتعلق بحياتهم الأسرية (الشخصية) والاجتماعية، والسياسية، والأخلاقية، وإلا لخالفنا تسمية الله (المتوسط) لهذه الأمة والدين، وهذا لا يجوز قط. أما المنهج لهذه الدراسة فهو المنهج الوصفى المستفيد من المنهج التحليلي الذي يركز على الكتب والعكوف عليها قراءة ودراسة مع ذكر الأمثلة التطبيقية العملية. ومن خلال دراسة هذا الموضوع وثبوته بالأمثلة العملية الواضحة تتحقق النتيجة المطلوبة وهى أن الإسلام هو دين المتوسط حقا والمسلمون على منهج الاعتدال تجاه الناس جميعا. ومن النتايج المطلوبة لهذه الدراسة هى أن التوسط ليس شعارا مجردا يردد بالألسنة دون التطبيق العملي، بل هو نظرية عملية تطبيقية ثابتة فى كافة المجالات الشريعة.

الكلمات المفتاحية: الوسطية، الاعتدال، الإفراط والتفريط، أمة وسطا، الاقتصاد في العبادات

المقدمة:

الحمد الله الذي جعلنا أمةً وسطاً بين الأمم، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد- صلى الله عليه وسلم- نور الظُلم، وعلى آله وأصحابه خير النعم.

أما بعد:

قال الله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) [البقرة: 143]

من ميزات هذه الأمة، الوسطية في المنهج والاعتدال في السلوك، والاقتصاد في الأمور، لأن قوله تعالى وسطاً، ينضم في طياته العدل، والاعتدال والأفضلية الخيرية، والفقاهة، لذلك يجب أن تتلألأ الوسطية ويتجلى الاعتدال، ويشاهد الاقتصاد في حياة هذه الأمة وتصرفاتها المختلفة من العقائد، والعبادات، والمعاملات، والأخلاق، لأن الوسطية شاملة لجميع هذه المجالات.

أ- أهمية البحث: تكمن أهمية البحث فيما يلي:

1- من واجب هذه الأمة الدعوة إلى دين الله المعتدل، الخالي من الإفراط والتفريط والقيام بمنهج الأنبياء، البعيد من التشدد والعنف.

2- فما يسعنا إلا أن نعمل ليلاً ونهاراً حتى يعرف الناس سياسة الاعتدال في دين الله – عزوجل- المعتدل ليستفيدوا عنها فى حياتهم اليومية حتي يعيشوا آمنين مطمئنين.

3- وكفاه أهمية إخبار الرسول صلى الله عليه وسلم بالهلاك عن المتشددين في الدين، فتعالوا ننجي الناس عن الهلاك وننقذهم من أن يلقوا بأنفسهم إلى التهلكة، وكذلك ننجي المؤمنين.

ب- أهداف البحث

1- الهدف الرئيسي من هذا البحث العلمي توضيح السمات الاعتدالية والوسطية لهذا الدين من النواحي المختلفة الممثلة في كتاب الله وسنة نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- وأقوال الصحابة والتابعين والفقهاء.

2- يدرس فى هذا البحث الوسطية في المجالات المختلفة كالاعتقاد والعبادات والمعاملات والأخلاق.

3- كما يوضح فى هذه الدراسة أن الغلو والإفراط من صنيع أهل الكتاب المنحرفين.

ج- مشكلة البحث:

من المشاكل البارزة على المستوى الأمة الإسلامية خاصة، وعلى مستوى العالم عامة، عدم معرفة منهج الإسلام المعتدل في العقائد، والعبادات، والمعاملات، والأخلاق، والأخذ بالتشدد، والعنف والإفراط في المسائل المجتهدة فيها، وهذه هي المشكلة بين أوساط المسلمين، - وللأسف- لم تنحصر المشكلة بين الأمة الإسلامية نفسها بل اعتدت إلى العالم، وشوهت صورة الإسلام المعتدل، لذلك أراد الباحث أن يكتب بحثا علميا حول هذا الموضوع ليتبين للناس حقيقة الإسلام، وأن نقيه من الغبار والتراب الدخيل عليه، ظلماً وزورا.

د- الدراسات السابقة:

يوجد حول هذا الموضوع كتب قيّمة كتبها المتقدمون من العلماء، كالإمام الغزالي (المتوفى: 505ه)، ألف كتاباً سمّاه (الاقتصاد في الاعتقاد)، وكتب تقي الدين أبو محمد عبدالغني المقدسي (المتوفى: 600ه) في نفس الموضوع(الاقتصاد في الاعتقاد) وبين اتجاه أهل السنة والجماعة، المعتدل في العقائد، كذلك ركز الإمام ابن تيمية في فتاواه على التوسط والاعتدال في الدين، كما كتب من المعاصرين الدكتور وهبة الزحيلي (وسطية الإسلام وسماحته)، والدكتور يوسف القرضاوي (فقه الوسطية الإسلامية والتجديد.

أما البحوث العلمية حول هذا الموضوع فكثيرة منها ما يلي:

1- علي (2020) درس الوسطية فى الإسلام وعلاقتها بالأمن الفكري، دراسة تأصيلية فى ضوء القرآن وركز على الأمن الفكرى دون تحليل الشامل للاعتدال والوسطية.

2- يابي، ابراهيم، وكاواید (2014) ناقشوا مفهوم الوسطية عند السلف الصالح ومن خلال دراستهم وصلوا إلى أن مفهوم الوسطية عند السلف جامعة، منها الاستقامة، العدل والخيار، والاقتصاد، والصراط المستقيم.

3- بخاري (2015) ألقى الضوء على معالم ونماذج الوسطية فى حياة الصحابة مع ذكر الأمثلة التطبيقية من حياتم وكذلک أشار إلى كيفية تطبيق الوسطية فى حياتنا المعاصرة.

4- الترتوري (2014) تطلع فى بحثه إلى بيان جانب التيسير لأحكام شرع الله -عزوجل- وثبت أن التيسر ورفع الحرج أساس عظيم فى شريعة الله لا يختص بمجال معين دون مجالات أخرى بل هو شامل لأحكام الشرعية كلها.

لو تأملنا فى البحوث المذكورة فوقا، يعرف أن أهداف كل بحث تختلف عما نحن بصددها. وكذلک توسعوا غيرهم من الباحثين في الموضوع واستطردوا جوانب كثيرة، بغض النظر عن رعاية الأصول الثابتة فى الدراسات العلمية وعدم الإلتفات إلى النقاط التي يجب توفرها فى مقالات التحقيقية والدراسات المنهجية، لأنهم ما قصدوا ذلک بل أرادو تقديم الموضوعات العلمية للتوعية الإسلامية العامة من منظار علمي آخر وفق المنهج المرسوم عندهم. لكن يمتاز هذا البحث العلمي بالإيجاز مع مراعات أسس التحقيق العلمية حيث يُروي الغليل ويشفي العليل، مقتبساً من آيات قرآنية وأحاديث نبوية مع تزوده بأقوال الفقهاء والمفسرين والمحدثين موجزاً.

هـ- منهج البحث:

المنهج الذي أختاره الباحث في إعداد هذا البحث العلمي هو نفس المنهج الوصفي المستفاد من المنهج التحليلي الذي يتعلق بالدراسة والمراجعة إلى الكتب المشهورة والمتون المعتمدة عليها، وتحليل نصوصها تحليلا علميا مراعيا الترتيب والتسلسل المصحفي فى الأخذ والاستدلال بالآيات القرآنية، وذلک فى مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية.

و- خطة البحث: يتكون البحث من مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة على النحو التالي: -

المقدمة: وتضمنت ما تقدم.

المبحث الأول: الوسطية في كتاب الله عزوجل.

المبحث الثاني: الوسطية في سنة نبيّنا محمد – صلى الله عليه وسلم-.

المبحث الثالث: الوسطية عند السلف الصالح

المبحث الرابع: مجالات الوسطية

المبحث الخامس: موقف أهل الكتاب من الوسطية

الخاتمة: وفيها النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: الوسطية في كتاب الله – عزوجل-

القرآن هو كتاب الله المعجز الذي فيه نبأ ما قبلنا وخير ما بعدنا والعظة لما بين أيدينا، فهذا الكتاب المعجز يركز على الاعتدال والوسطية في كثير من الآيات القرآنية صراحة وإشارة. وإليك نماذج من تلك الآيات القرآنية التي تدل على منهج الاعتدال والتوسط بالصراحة منها قوله تعالى: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) [الفاتحة: ٧] فالصراط المستقيم عبارة عن الطريق المتوسط والمعتدل الذي بين غير المغضوب عليهم وبين الضالين، ونحن نقرأ هذه الآية من سورة الفاتحة في الصلوات كلها.

ويؤيد هذا المنهج المعتدل قوله تعالى: " وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) [البقرة: 143] خلق الله هذه الأمة أمة متوسطة ووصفها بالاعتدال والوسطية يقول الإمام الطبري رحمه الله في تفسيره: (الأمة عبارة عن القرن من الناس أو الجماعة منهم).[1]

أما الوسط فهو الخيار في قاموس العرب، كما يقال: فلان وسط الحسب في قومه[2]، وكذلك يأتي الوسط بمعنى العدل، روى أبوسعيد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في تفسير قوله تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً) أى عدلاً.[3]

ثم يقول أبو جعفر الطبري: (أرى أن معنى الوسط هنا هو الجزء الذي بين الطرفين، مثلا وسط الدار، وأرى أن الله وصفهم بأنهم الوسط لتوسطهم في دينهم فهم ليسوا أهل الغلو كالنصارى، وقولهم في عيسى ما قالوا، ولاهم كاليهود أهل التقصير الذين بدلوا كتاب الله وقتلوا رسلهم وأنبياءهم وكذبوهم، وكفروا بالله –عزوجل-، ولكن المسلمين أهل التوسط، فوصفهم الله بذلك، لأن أحب الأمور إلى الله أوسطها، وفي رواية هم وسط بين النبي وبين الأمم.[4]

قال صاحب الكشاف في تفسير قوله تعالى: (أمةً وسطاً)، أي خياراً، والخيار وسط (لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل والأوساط محمية محفوظة).[5]

قال الإمام الرازي: الوسط بمعنى العدل في الآية والخبر[6]، أما الآية فهي قوله تعالى: (قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ) [القلم: 28]. أما الخبر، فهو (خير الأمور أوسطها)[7].

تعددت الروايات في تفسير قوله تعالى: (لتكونوا شهداء علي الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)، منها: ما رواه زيد بن أسلم أن قوم نوح يقولون يوم القيامة لم يبلغنا نوح، فيُدعى نوح عليه السلام فيسئل: هل بلغتهم؟ فيقول نعم، فيقال من شهودك؟ فيقول: أحمد - صلى الله عليه وسلم- وأمته، فتدعون، فتسألون وتقولون: نعم، قد بلغهم، فتقول قوم نوح عليه السلام: كيف تشهدون علينا ولن تدركونا؟ قالوا: جاءنا نبيّ الله صلى الله عليه وسلم فأخبرنا أنه قد بلغكم، وأنزل عليه أنه قد بلغكم، فصدقناه...، قال فتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا).[8]

يقول القرطبي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: (أمة وسطاً) أى جعلناكم دون الأنبياء فوق الأمم، والوسط العدل كما روى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير قوله تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً) قال: عدلاً.[9]

و يؤيد الإمام ابن كثير في تفسيره نفس المفهوم، أى الوسط هو العدل.[10]

---

(1) الطبري، جامع البيان عن تأويل آى القرآن (74/3)، (100/3).

(2) ابن منظور، لسان العرب (430/7).

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (153/2

(4) الطبري، جامع البيان عن تأويل آى القرآن (145/3).

(5) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل(198/1).

(6) الرازي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير (٣٧٥/١)

(7) البيهقي، سنن الكبرى (٢٧٣/٣)، كتاب صلاة الخوف، باب ما ورد من التشديد فى لبس الخز، رقم الحديث (5897).

(8) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (151/3)

(9) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (153/2)

(10) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (327/1)

ما دام الله -سبحانه وتعالى- سماها بهذا الوصف العالي المقتصد، فمن هنا يشاهد الاقتصاد والاعتدال لا محالة في جميع تصرفاتها من العبادات، والمعاملات، والعقائد والأخلاق، وإلا لا يوافق الإسم بمسماه، ولا الوصف بالموصوف، ولكن نعتقد بأن الإسم يدل على مسماه والوصف يوافق الموصوف، ويطبق عليه في المجالات كلها.

1- كذلك يقول الله تعالى: " وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" [الأنعام: 153].

ذكر القرطبي في تفسيره الرواية عن جابر بن عبدالله، قال: (كنا عند النبي –صلى الله عليه وسلم- فخطّ خطاً، وخط خطين عن يمينه، وخط خطين عن يساره، ثم وضع يده في الخط الأوسط، فقال: " هذا سبيل الله " ثم تلا هذه الآية " وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فاتبعوه"، وهذه السبل تعم اليهودية، والنصرانية، والمجوسية وسائر أهل الملل، وأهل البدع والضلالات من أهل الأهواء، والشذوذ في الفروع.

ثم ينقل عن مجاهد في تفسير قوله تعالى: (ولاتتبعوا السبل) قال: البدع.[11]

يخاطب الله رسوله – صلى الله عليه وسلم- ليعلن للناس أن هناك طرقاً متعددة، وسبلاً مختلفة فعليكم إتباع طريقي المستقيم، ومنهجي القيم بين هذه الطرق المتشعبة والمتضادة، وهذه هي وصية الرسول -صلى الله عليه وسلم-، إياكم، ولو سلكتم الطريق الذي أوصاكم به رسولكم لوصلتم إلى درجة التقوى التي هي من أعلى الدرجات عندالله، فهيّابنا نريد الوصول عن طريق الصراط المستقيم إلى التقوى. والآية هذه تدل على الوسطية والاعتدال لأن الله يأمرنا بإتباع الصراط المستقيم وعدم الإلتفات إلى الخطوط المعوجة يمينا وشمالا حسب تعبير المصطفى صلى الله عليه وسلم وهذا هو خط الأوسط، فالحديث بيان للخط الأوسط.

2- يؤيد هذا المنهج المعتدل المتوسط آية من سورة الإسراء وهي قوله تعالى: " وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا" [الإسراء: 29]. أى يأمر الله رسوله – صلى الله عليه وسلم – بالاعتدال بين التبذير والتقتير.

وقال الزمخشري: هذا تمثيل لمنع الشحيح وإعطاء المسرف، ثم يشير إلى الاعتدال والتوسط قائلاً:

(أمر بالاقتصاد الذي هو بين الإسراف والإقتار)[12].

كذلك يقول إمام الرازي في تفسيره لهذه الآية(أن الحكماء ذكروا في كتب (الأخلاق) أن لكل خُلق طرفى إفراط وتفريط، وهما مذمومان، فالبخل إفراط في الإمساك، والتبذير إفراط في الإنفاق وهما مذمومان، والخلق الفاضل هو العدل والوسط).[13]

ويؤيد الشهيد سيد قطب مؤلف (في ظلال القرآن) منهج الاعتدال في تفسيره لهذا الآية الكريمة، والتوازن هو القاعدة الكبرى في النهج الإسلامي، والغلو والتفريط يخل بالتوازن، والتعبير هنا يجري على طريقة التصوير فيرسم البخل يداً مغلولة إلى العنق ويرسم الإسراف يداً مبسوطة كل البسط لا تمسك شيئاً. ثم يعقب على الأمر بالتوسط بأن الرازق هو الله...، وهو الذي يقدر في الرزق ويضيق، ومعطى الرزق هو الآمر بالتوسط في الإنفاق. [14]

3- قد وصف الله المؤمنين بالاقتصاد والاعتدال بين الإسراف والإمساك وأثنى عليهم في كتابه الكريم: (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) [الفرقان: ٦٧]، يقول الرازي في تفسيره: والإسراف مجاوزة

(11) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (138/7)

(12) تفسير الكشاف، (438/3).

(13) الرازي، مفاتيح الغيب (40/10).

(14) سيد قطب، في ظلال القرآن، (2223/4).

الحد في النفقة، والقتر والإقتار هو التضييق الذي نقيض الإسراف، ثم يقول: (وصفهم الله بالقصد الذي هو بين الغلو والتقتير).[15]

4- هذا ونجد في نفس السورة آية أخرى ترشد إلى الاعتدال والتوسط في الصلاة بين الجهر والخفية، وهي قوله تعالى: " وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا " [الإسراء: 110].

5- إذا راجعنا سورة القصص نجد فيها آية وهي قوله تعالى: " وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا " [القصص: 77]، فهذه الآية تأمر الرسول – صلى الله عليه وسلم- بالاعتدال في أمور الدنيا دون الإهمال فيها كما تأمره بالتوسط والاقتصاد في قضايا الآخرة دون الجفاء وتقلب الوجه، والإعراض عنها.

المبحث الثاني: الوسطية في سنة نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم

ذكر الباحث -آنفاً - أن الاعتدال هو المنهج الإسلامي، بل الإسلام هو الاعتدال كله، كما يبرز ملامحه في العقائد، والعبادات، والمعاملات والأخلاق، وإليك نماذج الاعتدال والتوسط في أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم حيث يرشد أحد أصحابه وهو (عبد الله بن عمرو)، حين بالغ في العبادة قائلاً:

1- "وإن لبدنك عليك حقاً وإن لأهلك عليك حقاً "[16].

2- ويؤيد حديث المذكور الفوق ما رواه أحمد، والطبراني، والبيهقي عن عبدالرحمن بن شبل، قال عليه السلام " اقْرَءُوا الْقُرْآنَ، وَلَا تَغْلُوا فِيهِ، وَلَا تَجْفُوا عَنْهُ، وَلَا تَأْكُلُوا بِهِ، وَلَا تَسْتَكْثِرُوا بِهِ "[17].

الحديث الأول يدل على التوسط والاعتدال وأما الثاني ففيه المنع عن الغلو والإفراط فى التلاوة، وهذا هو الاعتدال المطلوب.

كذلك نجد نفس المنهج الاعتدالي في الأحاديث الثابتة منه – صلى الله عليه وسلم فيما يلي:

3- وعن عبد الله بن مسعود قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ قَالَهَا ثَلَاثًا "[18]، قال الإمام النووي رحمه الله في شرح هذا الحديث(أى المتعمقون) الغالون المجاوزن الحدود في أقوالهم وأفعالهم)[19].

4- ويؤيد هذا ما رواه بريدة الأسلمي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " عَلَيْكُمْ هَدْيًا قَاصِدًا، فَإِنَّهُ مَنْ يُشَادَّ هَذَا الدِّينَ يَغْلِبْهُ "[20].

(أراد يغلبه الدين أى من يقاومه ويعاومه، ويكلف نفسه من العبادة فوق طاقته والمشادة المغالبة... والمشادة في الشئ التشدد فيه).[21] ولو تأملنا فى الحديث رقم الثالث لوجدنا مذمة تلاوة المجاوزين الحدود، كما نجد فى حديث رقم الرابع الأمر بالهدى القاصد وهو العدل والتوسط.

قال ابن حجر رحمه الله في شرح هذا الحديث: (وَالْمَعْنَى لَا يَتَعَمَّقُ أَحَدٌ فِي الْأَعْمَالِ الدِّينِيَّةِ وَيَتْرُكُ الرِّفْقَ إِلَّا عَجَزَ وَانْقَطَعَ فَيُغْلَبُ، بَلْ مَنْعُ الْإِفْرَاطِ الْمُؤَدِّي إِلَى الْمَلَالِ أَوِ الْمُبَالَغَةِ فِي التَّطَوُّعِ الْمُفْضِي إِلَى تَرْكِ الْأَفْضَلِ) [22]

(15) الرازي، التفسير الكبير (449/11).

(16) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (171/7)، باب فيما كان بينهم يوم صفين رضي الله عنهم، رقم حديث (12047)

(17) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل (288/24)

(18) القشيري، صحيح مسلم، (2055/4)، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون رقم الحديث (2670)

(19) النووي، شرح صحيح مسلم (221/8)

(20) أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل (361/5)

(21) ابن منظور، لسان العرب (232/3)

(22) ابن حجر، فتح الباري (94/1)

5- كذلك روي عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يَا عَبْدَ اللَّهِ، أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ، وَتَقُومُ اللَّيْلَ؟»، فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «فَلاَ تَفْعَلْ صُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا"[23]

يقول ابن حجر في فتح الباري: (وفيه الحض على ملازمة العباد، لأنه -صلى الله عليه وسلم- مع كراهته له التشديد على نفسه حضّه على الاقتصاد)[24].

حرض ابن حجر فى شرح هذا الحديث على الاقتصاد مع كراهية التشدد على النفس.

6- عن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول " جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي"[25].

يقول ابن بطال رحمه الله في شرحه: (فإن الأخذ بالتوسط والقصد في العبادة أولى، حتى لا يعجز عن شئ منها ولا ينقطع دونها).[26]

يعلق الدكتور مصطفى ديب البغاء على قوله (فليس مني) أى (ليس بمسلم إن كان ميله عنها كرها لها أوعن عدم اعتقاد بها. أن كان غير ذلك فإنه مخالف لطريقتي السهلة السمحة التي لا تشدد فيها ولا عنت).[27]

7- كما ينص صلى الله عليه وسلم بالاعتدال في قوله: (عليكم من الأعمال ما تطيقونه)[28]، يقول النووي: (فيه دليل على الحث في الاقتصاد في العبادة واجتناب التعمق، ليس الحديث مختصاً بالصلاة، بل هو عام في جميع أعمال البر كما يقول – صلى الله عليه وسلم-: (فإن الله لا يمل حتى تملوا).[29]

8- كذلك ركز- صلى الله عليه وسلم- بمنهج الاعتدال في قوله عليه السلام: (اقرؤا القرآن في كل شهر، ثم قال في كل عشرين، ثم قال في كل سبع ولاتزد) هذا من نحو ما سبق من الإرشاد إلى الاقتصاد في العبادة)[30]. ولو أمعن القارئ النظر فى هذه الأحاديث المذكورة الفوق لوجد مصطلح الاقتصاد أو التوسط المطلوب فى هذا البحث صراحة أو دلالتا وهذا ما كنا بصدد ثبوته فى ضوء الأحاديث النبوية.

المبحث الثالث: الوسطية عند السلف الصالح

بعد ما عرفنا أن الإسلام هو الدين الذي يدعو إلى التوسط والاعتدال وذكرنا أمثلة واضحة من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، ننتقل الآن إلى معرفة منهج الاعتدال فى أقوال الصحابة التي تمثل الوسطية والاعتدال وهي فيما يلي:

(23) البخاري، صحيح البخاري (39/3)، باب حق الجسم في الصوم، رقم الحديث (1975)

(24) ابن حجر، فتح الباري، (39/3)

(25) البخاري، صحيح البخاري (1949/5)، باب الترغيب في النكاح، رقم الحديث (4776)

(26) ابن بطال، شرح صحيح البخاري لابن بطال (160/7)

(27) البخاري، صحيح البخاري (1949/5)، باب الترغيب في النكاح، رقم الحديث (4776)

(28) القشيري، صحيح مسلم (540/1)، باب أمر من نعس فى صلاته أو استعجم، رقم الحديث (785)

(29) النووي، شرح صحيح مسلم، (71/6)

(30) النووي، شرح صحيح مسلم، (170/4)

1- يقول علي – رضي الله عنه-: (خير هذه الأمة، النمط الأوسط)[31]، وفي رواية عنه: (خير الأمور أوسطها)[32]. ذكر في هذا الأثر كلمة الأوسط وهى مطلوبة فى البحث.

2- وفي رواية آخرى عنه يقول: (ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه من لم يؤيس عباد الله من روح الله ولم يؤمنهم من مكره).[33] يدل هذا القول على التوسط بين اليأس والأمن.

3- كما نجد الاعتدال في أقوالهم المتعلقة بالدنيا والآخرة يقول عبد الله بن عمرو بن العاص(اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً).[34] هذا القول يحضنا أن نجمع بين الدين والدنيا وأن نوافق بينهما، وأن نربط بعضه بالبعض.

4- روي عن أبي بن كعب أنه قال: " اقتصاد فِي سُنَّةٍ خَيْرٌ مِنْ اجْتِهَادٍ فِي بِدْعَةٍ "[35]. أى الإكتفاء بهدى النبي صلى الله عليه وسلم أو الوقوف عند سنته وعدم مجاوزة الحدود المرسومة خير من الفرار إلى البدعة المنكرة.

موقف التابعين حول التوسط: سلك التابعون موقف المعتدل في القضايا كلها، واقتدوا بمن قبلهم من الصحابة في المنهج المقتصد بين الإفراط والتفريط.

أ- يقول حسن البصري – رحمه الله-: (سنتكم – والله لا إله إلا هو- بينهما، بين الغالي والجافي فاصبروا عليها رحمكم الله).[36] الهدف واضح وهو الاعتدال بين الإفراط والتفريط.

ب- كان عمر بن عبد العزيز – رحمه الله- يقول في خطبته: (إِنَّ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَى اللَّهِ الْقَصْدُ فِي الْجِدِّ، وَالْعَفْوُ فِي الْمَقْدِرَةِ، وَالرِّفْقُ فِي الْوِلَايَةِ، وَمَا رفق بِعَبْدٍ فِي الدُّنْيَا إِلَّا رَفَقَ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).[37] هذا الأثر يرغبنا بالأخذ على الرفق والعفو والاعتدال.

ج- وروي عن سعيد بن جبير، ومجاهد وقتادة –رحمهم الله- في تفسير قوله تعالى: (أمة وسطاً) أى عدلاً وعدولاً.[38]

أما الفقهاء قديما وحديثا فدعوا إلى الاعتدال والتوسط وإليک نموذج من أرآئهم فيما يلي:

5- يقول الإمام ابن تيمية حول الاعتدال والاقتصاد في العبادة: (فإن المشروع المأمور به الذي يحبه الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم- هو الاقتصاد في العبادة). كما يؤيد نفس المنهج الاعتدالي في موضع آخر من فتاواه قائلاً:

(إِذْ أَصْلُ السُّنَّةِ مَبْنَاهَا عَلَى الِاقتصاد وَالِاعتدال دُونَ الْبَغْيِ وَالِاعْتِدَاءِ).[39]

6- وسئل الشيخ محمد صالح العثيمين عن معنى الوسط في الدين فأجاب بقوله: الوسط في الدين أن لاي غلو الإنسان فيه، فيتجاوز ما حد الله – عزوجل- ولا يقصر فيه، فينقص عما حد الله - سبحانه وتعالى- الوسط في الدين أن يتمسك بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم والغلو في الدين أن يتجاوزها والتقصير أن لا يبلغها).[40].

---

(31) الهروي، غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن السلام، (375/4، ح: 708)

(32) البيهقي، سنن الكبرى (٢٧٣/٣)

(33) الهندي، كنز العمال، (181/10)، باب حرف العين، رقم الحديث (29388)

(34) ابن أبي أسامة، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث (983/2)

(35) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (109/4)

(36) ابن قيم، إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان ط عالم الفوائد (115/1)

(37) ابن كثير، البداية والنهاية إحياء التراث، (226/9)

(38) الطبري، تفسير الطبري (144/3)

(39) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (170/4)

(40) العثيمين، مجمع فتاوى ورسائل العثيمين (42/1)

ويشير إلى نفس المفهوم ويقول: (ودائماً يكون الوسط هو خير الأمور).[41]، كما يثني على الوسطية في رسائله وفتاواه، ثم يؤيد التوسط والاعتدال في الدين قائلاً: (فكما أن هذه الأمة هي الوسط، ودينها هو الوسط، فينبغي أن يكون سيرها في دينها على الطريق الوسط).[42]

المبحث الرابع: مجالات الوسطية

أ- **الوسطية في الإعتقاد:** الإسلام يدعو إلى الوسطية في الاعتقاد دون غلو ولا إفراط ولا تفريط، فالوسطية مظهرٌ من مظاهر الاعتدال، والمسلمون يرددون في الصلاة كل يوم خمس مرات قوله تعالى: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) [الفاتحة: 6-7]

وهذه الآيات من سورة الفاتحة تثبت أن العقيدة هي الوسط بين الطريق المغضوب عليهم، أى اليهود وبين الضالين وهم النصارى، فالمسلمون يدعون الله عزوجل أن يثبتهم على هذه العقيدة الإسلامية الوسطية.[43]

كما نجد أن شريعة الإسلامية تمنع أتباعها المسلمين من إعمال القوة والعنف في مجال العقيدة، بل الحرية الاعتقادية ثابتة لكل إنسان، ولا يجبر أحد بترك المعتقد أو التغير في الدين أو المذهب، ليس معنى هذا أن المسلمين يقرون، بكفرهم ويرضون بضلالهم، بل الهدف ترك جميع محاولات العنف والإكراه، وذلك لا ينفع، لأنه مهما زال الإكراه يعود الإنسان إلى معتقده السابق، لأن الهداية إلى سبيل الرشاد بيد الله -سبحانه وتعالى- وهو فعّال لما يريد.

وهذا ما أقر به القرآن بالصراحة في قوله تعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) [البقرة: 256].

ويؤيد هذا آية أخرى وهي قوله تعالى: (فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا) [الكهف:29].

لكن الآية هذه ليست للتخيير بل هي تهديد لأولئك الذين عرفوا الحق ثم أنكروه وأعرضوا عنه، لكن مع هذا التهديد والوعيد فالحرية ثابتة للإنسان.

هذا، ولم يثبت في تاريخ أن المسلمين مارسوا الإكراه مع غير المسلمين.[44]

عبر الشيخ تقي الدين أبو محمد عبد الغني المقدسي عن الوسط والاعتدال في العقيدة قائلاً: (الوسط في العقيدة هو مذهب أهل السنة والجماعة، يعنى مذهب السلف وسط بين طرفي الإفراط والتفريط... فمثلاً مذهب أهل السنة والجماعة وسط في القدر بين مذهبي الجبرية والقدرية، فالجبرية غلوا في إثبات أفعال الرب، ونفوا أفعال العباد، وقالوا إن العبد ليس له أفعال... وقابلهم القدرية، وقالوا: العبد هو الذي يخلق فعل نفسه استقلالاً، خيراً وشراً... والله لم يخلق أفعال العباد).[45]

وأهل السنة وسط بين هؤلاء وأولئك، أثبت أفعال العباد مع الاختيار لهم، لكن مشيئتهم تابعة لمشيئة الله عزوجل، فالله خلق العباد وأفعالهم، كذلك أهل السنة والجماعة وسط في باب الإيمان بين الخوارج، الذين يقولون بكفر مرتكب الكبيرة، والمرجئة الذين يقولون لا تضر المعصية مع الإيمان كما لا تنفع الطاعة مع الكفر، فأهل السنة وسط بين هؤلاء وأولاء، فقالوا: لا يكفر العبد بارتكاب المعصية، بل يكون مخالفاً لشرع الله مذنباً.[46]

(41) العثيمين، مجمع فتاوى ورسائل العثيمين (617/8)

(42) العثيمين، مجمع فتاوى ورسائل العثيمين (371/9)

(43) آل نواب، وسطية الإسلام ودعوته إلى الحوار ص: 14

(44) الزحيلي، وسطية الإسلام وسماحته، ص: 48.

(45) المقدسي، الاقتصاد في الاعتقاد، ص: 7

(46) المقدسي، الاقتصاد في الاعتقاد

ب- وسطية الإسلام في العبادات

تتسم الشريعة الإسلامية بالوسطية في مجال العبادات، فهي بين الغلو والتهاون (الشدة والتيّسير)، وقد ثبت هذا الاعتدال والوسطية في سنة نبيّنا -محمد صلى الله عليه وسلم- في مجال العبادات كلها كما يقول عليه السلام: " لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي "[47].

يقول الدكتور وهبة الزحيلي: تتميز العبادات المفروضة في الشريعة من الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج باليسر والسماحة وسهولة الممارسة والبعد عن الشدة والإفراط والغلو، كما قال تعالى: " يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ"[البقرة: 185]. وذلك فضلاً عما يترتب عليها من الفوائد الجمة وآثارها الاجتماعية والتهذيبية. ففى العبادة لم يكلف العبد بشئ فوق طاقته بل كلف بالأعمال المحدودة اليسيرة يستطيع كل مسلم أن يقوم بها من حقوق الله تعالى على خلقه بل هي الهدف الأصلي من خلق الله عزوجل للبشر في هذه المعمورة.[48]

كما يقول تعالى: " وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ"[الذاريات: 56] ثم هذا التكليف الإلهي (العبادة) لصالح العباد في حياتهم الأسرية، والاجتماعية والأخلاقية، فمثلاً فى الطهارة لا يطالب المسلم بالغسل فى الصلوات الخمس، والصلاة فى أوقاتها المعينة فريضة متوسطة تمثل صلة العبد بربه تعالى، وتعلمنا قيمة الوقت والإحساس بالمسؤولية والواجبات.

والصوم فريضة سنوية لا يجب إلا فى شهر رمضان المبارك، يرفعنا عن العالم المادي إلى العالم الروحي والمعنوي، وذلك بإضافة ما فيه من الصحة والعافية والتدريب على تحمل المشقة والصبر، والانتصار على الرغبات النفسية والأهواء والشهوات، كما تعلمنا الزكاة التعاون والتراحم وعلاج الفقر والبؤس وذلك فضلاً من تحقق التكافل الاجتماعي، وتطهير الأموال ورعاية الأيتام. وهى فريضة معلومة بشروطها الخاص فى العام مرة واحدة.

أما الحج فلا يجب إلا من استطاع إليه سبيلا ففيه تحقيق المنافع الكثيرة منها إحياء فكرة المساوات في الخلق والعبادة، ورفع الصوت بالتلبية، والوحدة في جميع مناسك الحج، والتوجه إلى القبلة الواحدة، والطواف بالإخلاص والمحبة من الكعبة المشرفة.[49]

إذن العبادة شعار العبودية من الخلق تجاه الخالق، وذلك شكراً لتلك النعم الظاهرة الباطنة التي أنعمها الله –عزوجل- على عباده، ولم يكلفهم في العبادة على شئ فوق طاقتهم، كما يقول تعالى: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) [البقرة: 286].

فهذه الوسطية الإيجابية النافعة الدائمة في مجال العبادة لا إفراط ولا تفريط فيها.

ج- الوسطية في المعاملات

يمتاز الإسلام بالاعتدال والوسطية في المعاملات مع الناس، وهو إعطاء كل ذي حق حقه دون وكس وبخس، وأداء الحقوق وتنفيذ الالتزامات والوفاء بها فمثلا فى عقد النكاح حرض الإسلام على اليسر فى المهور وعدم الإسراف فى النفقات وحفلات الزواج، وحسن التعامل مع الآخرين كما يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) [المائدة: 1]، ويمنعنا بالجزم عن الجور والظلم والاعتداء بحقوق الآخرين، وأكل أموالهم بالباطل، بل كل ذلك حرام في دين الله –عزوجل- كما قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ) [النساء: 29]، والأصل في العقود كالبيع، والشراء والإيجار، هو الإباحة إلا ما تصادم مع النص الشرعي كالربا، والميسر، والغش والغدر.

(47) البخاري، صحيح البخاري، (2/7)، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، رقم الحديث (5063)

(48) الزحيلي، وسطية الإسلام وسماحته، ص: 16

(49) الزحيلي، وسطية الإسلام وسماحته، ص: 17.

يركز الإسلام على العدل والصدق، والإخلاص، والتودد في العقود دون إكراه، وتعطيل، أو غش وما شاكل ذلك من المفسدات الباطلة في المعاملات، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الاعتدال والوسطية في شرع الله – عزوجل- الخالي من الظلم والفساد والاختلاف، لأن الظلم والاختلاف في المعاملات يؤدي إلى الضعف، والشك والتردد وبالتالي إلى الحقد والضغينة الممنوعة في دين الله –عزوجل-، يقول تعالى: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) [الأنفال: 46]

وهذا أحسن دليل للوسطية والاعتدال في المعاملات، لتحقيق مصلحة الأمة، والدولة والأفراد.[50]

د- الوسطية والاعتدال في منهج الدعوة

بعد ما انقطعت سلسة إرسال الرسل بخاتم النبيين محمد -صلى الله عليه وسلم- فوضت مسؤولية الدعوة إلى الله –عزوجل- إلى هذه الأمة، فنحن مكلفون جميعاً حسب طاقتنا وتخصصنا بالدعوة إلى هذا الدين المبين، بل الدعوة إلى الله –عزوجل- من أهم مقاصد خلقنا وهذا هو الرمز الواضح لنشأة هذه الأمة ووجودها على صفحة الأرض.

قال الله تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ...)[آل عمران: 110]، فالدعوة إلى الله واجبة منحصرة فى الوسط بين الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. ولو لم نقم بهذه المهمة كأننا ما أدينا واجبنا تجاه الناس.

ثم يعلمنا الله طريقة الدعوة إل الله قائلاً: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [النحل: 125]، فالآية هذه ترشدنا إلى الأسلوب الدعوي الحكيم، فالله –عزوجل- بعد ما كلفنا بمسؤولية الدعوة التي هي من أعظم مقاصد نشأتنا، وهي واجب الأنبياء والمرسلين، فأرشدنا الله إلى طريق الدعوة وأسلوبها القيم، مزودين بالحكمة والموعظة الحسنة وحسن المناقشة والمجادلة الحسنة.

كذلك يرشدنا الله سبحانه وتعالى إلى المحاورة الطيبة مع أهل الكتاب في كتابه: (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [العنكبوت: ٤٦]، وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على سياسة الاعتدال والتوسط في مجال الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى. فعدم الإفراط فى المجادلة مع أهل الكتاب وحسن التعامل معهم من أهم صفات الداعية، فالدعوة وسط بين ترك المجادلة وحسن التعامل مع الناس.

لكن السؤال الذي يطرح هو، هل قمنا بواجب الدعوة إلى الله – سبحانه وتعالى- الواجب الذي خلقنا الله لأجله؟ الجواب – للأسف- لا، لأن هذه المسؤولية تحتاج إلى الصبر والمثابرة، والعزم الشامخ الراسخ وتحمل الأذى من المدعوين ونحن في غفلة وضعف.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقنا لأداء هذه المسؤولية العظيمة التي أرسل لأجلها الأنبياء والمرسلون.

هـ- الوسطية في الأخلاق وحسن التعامل

الأخلاق من أهم ما يمتاز به شرع الله عزوجل لأنه يعلمنا حسن التعامل، ورعاية الأدب مع الآخرين، لذلك يصف الله –عزوجل- رسوله – صلى الله عليه وسلم- بحسن الخلق في كتابه الكريم: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)[القلم: 4].

وحقاً أنه – صلى الله عليه وسلم – في أعلى درجة الخلق، واشتهر بين العرب قبل النبوة بالصادق الأمين، ويؤيد هذا ما رواه أنس رضي الله عنه قال: " خَدَمْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي: أُفٍّ، وَلاَ: لِمَ صَنَعْتَ؟ وَلاَ: أَلَّا صَنَعْتَ "[51]، كما يؤيد هذا ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه

(50) الزحيلي، وسطية الإسلام وسماحته ص: 22.

(51) البخاري، صحيح البخاري، (14/8)، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، رقم الحديث (6038)

قال: " إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا (وهو القصد والتوسط في العبادة) وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا..."[52]، هذا هو أخلاق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

ولو تأملنا في مناقب صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم – فهم أيضاً في أعلى درجة من الخلق وحسن التعامل مع الناس، ويشاهد الاعتدال والوسطية في سلوكهم كما روى محمد بن سيرين عن أبي هريرة – رضي الله عنه- أنه قال: " أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا ".[53]

كذلك لو راجعنا كتاب الله – عزوجل- لوجدنا آيات كثيرة من ذكر حكيم يأمر الله – عزوجل- رسوله -صلى الله عليه وسلم- بالتوسط والاعتدال في الصدقة والإنفاق مانعاً عن البخل والتبذير، يقول تعالى: " وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا"[الإسراء: 29].

فالآية هذه تدل على الاقتصاد والاعتدال في التصرف المالي، ويؤيد هذا ما جاء في سورة الفرقان" وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا " [الفرقان: 67]

وكذلك يأمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالاعتدال بين الجهر والخفية في الصلاة كما يقول تعالى: " وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا "[الإسراء: 110]، ويأمر مسلمين باليسر في الصلاة والقراءة فيها قائلاً: " فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ"[المزمل: 20].

ينهى الله- عزوجل- رسوله –صلى الله عليه وسلم- عن عدم إطاعة أولئك الذين هم في غفلة من ذكر الله سبحانه وتعالى واتبعوا أهوائهم وكان أمرهم تضييعاً وهلاكاً، فينهاه الله عن متابعتهم قائلاً: " وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا "[الكهف: 28]، وهذا هو حسن التعامل تجاه الفقراء وعدم الانصراف عنهم إلى غيرهم، بل يمنعه عن الاهتمام البالغ إلى الأغنياء للتمتع بزينة الحياة الدنيا.

فرعاية حقوق الضعفاء، والفقراء والاهتمام بشأنهم من سياسة الإسلام وأخلاقه الكريمة.

فهذه الآيات القرآنية كلها تنص على الاعتدال والتوسط في الأمور بما فيها الصدقة، والصلاة، وهما من مهام الأمور في حياة المسلمين، فعلينا أن نتمسك بهذه النصوص وأن نعمل وفق مقتضاها.

المبحث الخامس: موقف أهل الكتاب من الوسطية

يعتقد المسلمون بأن الإسلام هو دين التوسط والاعتدال ولا يوجد في هذا الدين، الإفراط، ولا الغلو، بل هو برئ من هذه السياسة الشنيعة، بل اشتهرت الديانة اليهودية والنصرانية بالإفراط والتفريط، والتشديد والجفاء، كما أخبرنا الله سبحانه وتعالى مخاطباً رسوله أن يمنع أهل الكتاب عن الإفراط والتشدد في دينهم قائلاً: " قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ "[54]

يستنبط من هذه الآية الكريمة أن أهل الكتاب أضلهم الإفراط الباطل في دينهم فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل.

فاليهود أفرطوا في ذات الله سبحانه وتعالى وشبهوه بالناس كالتعب في العمل والشغل وضرورته -العياذبالله- إلى الإستراحة حسب تعبيرهم. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

قتل اليهوم أنبياءهم كما يقول تعالى: (ذَٰلِكَ بِأَنَّهُم كانوا يَكفُرونَ بِـَٔايـٰتِ اللَّهِ وَيَقتُلونَ الأَنبِياءَ بِغَيرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِما عَصَوا وَكانوا يَعتَدونَ) [آل عمران: 112] وذلك فضلا عن التحريف في الكتاب كما يقول تعالى: (مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ

(52) البخاري، صحيح البخاري (18/1)، باب الدين يسر، رقم الحديث (39)

(53) الترمذي، سنن الترمذي (360/4)، باب ما جاء في الاقتصاد في الحب والبغض، رقم الحديث (2065)

(54) المائدة: 77.

يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ) [النساء: 46]

و أما النصارى فقاموا بالتفريط والتقصير فى شأن الله سبحانه وتعالى ووصفوه بالثالث الثلاثة وألهوا عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته، فسبحان الله عما يصفون. ولا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه كما يقول تعالى: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) [الإخلاص: 1-4] ويؤيد هذا ما جاء فى سورة الشورى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شيء وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)[الشورى: 11]

الخاتمة

بعد الدراسة والفحص حول موضوع (الاعتدال والتوسط في الشريعة الإسلامية) نصل إلى النتائج التالية:

1- تدل الآيات القرآنية على المنهج الرباني المعتدل كما أيد المفسرون هذا المنهج فى تفاسيرهم وهو أن الإسلام هو الوسط بين الإفراط والتفريط.
2- تدل الأحاديث النبوية على المنهج الاعتدالي والوسطية قولا وفعلا وتقريرا وتنص على الاعتدال والاقتصاد فى الأمور كلها.
3- منع الرسول – صلى الله عليه وسلم- فعلاً الصحابة عن التحمل ما لا يطاق وترغيبه – صلى الله عليه وسلم – بالسهولة واللين والعمل القليل الدائم في العبادة، كما يشاهد موقف الاعتدال والتوسط عند الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى يومنا هذا.
4- من حقنا أن نعترف بعد هذه النصوص الشرعية الواضحة من طيب النفس أن الإسلام هو دين الاعتدال والتوسط، بل هو الاعتدال نفسه.
5- ركز الصحابة والسلف الصالح على الوسطية والاعتدال فى أقوالهم وتصرفاتهم وتعاملهم مع الآخرين.

التوصيات: أما التوصيات فهى كالتالي:

1- يوصي الباحث أن يمثل المسلمون جميعاً منهج الاعتدال والتوسط في تصرفاتهم، وسلوكهم وأعمالهم، وأن لايغتروا بموقف أولئك المتشددين، المفرطين، لأنهم ليسوا ممثلين لمنهج الإسلام المعتدل، وليسوا على مسلك أهل السنة والجماعة.
2- يرغب الباحث المسلمين خاصة والناس عامة أن يقوموا بدراسة الإسلام، دراسة، متأنية، دقيقة، ومباشرة وفق منهج السلف الصالح الذين رغب الله الناس بالصحبة والمجالسة معهم كما قال تعالى: " أُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَداءِ وَالصَّالِحِينَ، وَحَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً". لأنهم سلكوا سياسة الاعتدال والتوسط في الأمور كلها. فجزاهم الله منا أحسن الجزاء.
3- يرجى من الناس جميعا أن لا يحاسبوا على أعمال بعض الفرق المتشددة التى لا تعرف إلا العنف فى القول والفعل والتصرف، بل عليهم الرجوع إلى روح الإسلام المعتدل عن طريق المجالسة والصحبة مع العلماء الربانيين المخلصين.
4- يطالب من الدعاة المخلصين والباحثين والعلماء أن يلعبوا دورا إيجابيا معتدلا في جميع جوانب حياتهم الاجتماعية، والفردية وأن يصوروا صورة الإسلام المعتدل المشهود في تصرفاتهم اليومية وصلى الله على نبينا محمد.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

1- ابن أبي أسامة، محمد أبوالحارث بن محمد المعروف بابن أبي أسامة(المتوفي: 282هـ)، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، الناشر: مركز خدمة السنة والسيرة النبوية - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، 1413 – 1992، عدد الأجزاء: 2.

2- ابن بطال، أبوالحسن علي بن خلف، شرح صحيح البخاري لابن بطال، تحقيق: أبوتميم بن إبراهيم، الناشر: مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، الطبعة الثانية: 1423هـ.

3- ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري لابن حجر، المحقق: عبدالعزيز بن باز، رقم كتبه، محمد فؤاد عبدا الباقي، دار المعرفة – بيروت-(1379هـ)، عدد الأجزاء: 13.

4- ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان ط عالم الفوائد، الناشر: دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، 1432 هـ، عدد الأجزاء: 2.

5- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، الناشر: دار الكتب العلمية، - بيروت- الطبعة: الأولى - 1419 هـ

6- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، البداية والنهاية ط إحياء التراث، الطبعة: الأولى (1408هـ، 1988م).

7- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)، لسان العرب، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ، عدد الأجزاء: 15.

8- أبوعبيد القاسم، أبوعبيد القاسم بن السلام الهروي، غريب الحديث، أبوعبيد القاسم بن السلام الهروي، المحقق: الدكتور حسين محمد محمد شرف، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1404 هـ - 1984 م، عدد الأجزاء: 5.

9- أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، مسند أحمد بن حنبل، الناشر: مؤسسة قرطبة.

10- أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، مسند أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.

11- آل نواب، د.عبدالرب، نواب الدين، آل نواب، وسطية الإسلام ودعوته إلى الحوار، وزارة الأوقاف السعودية – بدون بيانات-.

12- بخاري، ع. غ. (2015). فقه الوسطية عند الصحابة في العلاقات الإجتماعية، مجلة البصيرة، 4(2).

13- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، صحيح البخاري، حققه محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار الطوق النجاة، الطبعة الأولى: (1422هـ).

14- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، صحيح البخاري، تحقيق: د.مصطفى ديب البغاء، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة: 1407 - 1987.

15- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحُسَين بن عليٍّ البيهقي (384 - 458 هـ)، السنن الكبرى ت التركي، الناشر: مركز هجر البحوث والدراسات العربية والإسلامية، الطبعة الأولى: (1432هـ – 2011م).

16- الترتوري، ح. م. (2014). وسطية الإسلام في يسر أحكامه، مقدم لمؤتمر "السنة أساس الوسطية ومصدر تطور الأمة"، جامعة العلوم الإسلامية الماليزية.

17- الترمذي، أبوعيسى، محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي ت أحمد محمد شاكر، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت-، عدد الأجزاء: 5.

18- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، بيروت، 1421ق، 2000م.

19- الزحيلي، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، وسطية الإسلام وسماحته، وزارة الأوقاف السعودية، بدون التاريخ.

20- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتب العربي – بيروت-، الطبعة: الثالثة، 1407هـ.

21- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ، المحقق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة.عدد الأجزاء: 24.

22- العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ)، مجموع فتاوى ورسائل العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر: دار الوطن - دار الثري، االطبعة: الأخيرة - 1413 هـ، عدد الأجزاء: 26.

23- علي، ح. ع. إ. (2020). الوسطية في الإسلام وعلاقتها بالأمن الفكري: " دراسة تأصيلية في ضوء القرآن الكريم"، Jurnal Studi Al-Qur'an، 16(02).

24- القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمدبن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية: (1384هـ – 1964م).

25- مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبدالباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت-.

26- المقدسي، تقي الدين أبو محمد عبد الغني المقدسي، الاقتصاد في الاعتقاد، الناشر: مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى: (1414هـ).

27- النووي، أبو زكريا، يحيى بن شرف النووي، شرح صحيح مسلم، الناشر: دار الكتب العربي، بيروت، لبنان.(1407هـ – 1987م).

28- الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي، كنز العمال، الناشر: المؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة: (1401هـ – 1981م).

29- الهيثمي، الحافظ نورالدين علي بن بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، (1414 هـ، 1994 م)، عدد الأجزاء: 10

30- يابي، ش؛ ابراهيم، ن؛ وكاوايد، ا. س. (2015)، مفهوم الوسطية عند السلف الصالح، مجلة علمية GJAT، 4(2).